أثر أسباب النزول وأهميته في فهم النص القرآني
(أنموذجاً)سورة آل عمران
(دراسة وصفية تطبيقية)

أ. أمل بنت مبروك بن مبارك الصاعدي

مدرس قسم الكتاب والسنة – شعبة التفسير وعلوم القرآن

كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى

سـورة البقرة، "دراسـة تحليلية تطبيقية" يهدف هذا البحث إلى دراسـة الجانب النظري لأسباب النزول وتظهر أهمية البحث في الدراسة التطبيقية برؤى جديدة على وجه العموم وفي سـورة آل عمرانعلى وجه الخصـوص وأبرز ما دعاني للكتابة في هذا الموضوع أنه معظم الدراسات والرسائل العلمية ركزت جل اهتمامها على دراسة أسـانيد مرويات أسـباب النزول، والظروف والأجواء التي نزلت فيها الآيات من جهة ثانية.

الكلمات الافتتاحية:

أثر- أسباب – النزول- النص القرآني- التفسير

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصـلاة والسـلام على خاتم المرسـلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فمما لاشك فيه أن علوم القرآن والتفسير من أشرف العلوم إن لم تكن أشرفها، ذلك أن مرادها التوصل إلى أشرف كلام وأنسبه على الإطلاق، كلام الخالق سبحانه وتعالى إلى عباده وعبيده، ولقد أمرنا –عز وجل- بتدبر كتابه فقال: چ ک گ گ گ گ گ گ چ[1] فقد نزل الله القرآن الكريم على نبينا محمد ρ لهداية الإنسـانية إلى طريق الهداية والرشاد وإقامة الحياة الكريمة الفاضلة المعتمدة على أساس من الإيمان بالله ورسالاته.

وأكثر آيات القرآن نزلت ابتداء لتحقيق هذا الهدف من عقائد الإيمان وواجبات الإسـلام غير أن آيات القرآن ما نزل مرتبطاً بسـبب من الأسـباب كأن تحدث حادثة فينزل القرآن بشأنه أو يسأل النبي ρعن أمر فينزل القرآن بالإجابة على ذلك السؤال ولعلم أسـباب النزول أهمية كبرى في معرفة تفسـير الآيات التي نزلت على أسـباب معينة على وجهها الصـحيح، بل إن كثثيراً من الآيات النازلة على أسـباب يسـتحيل معرفة المراد منها من غير أن يقف المفسر على أسباب نزولها.

وبهذا البحث المتواضـع لإلقاء الضـوء على أهمية معرفة أسـباب النزول في تفسير القرآن الكريم وبيان الأثر الكبير لمعرفة سبب نزول الآية على تفسيرها.

أولاً: أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في الآتي:

١- ارتباطه بفنين عظيمين وهما تفسـير كتاب الله وسـنة رسـول الله ρ واللذان

(١)سورة محمد، الآية: ٢٤.

هما أساس ديننا الحنيف.
٢- أن أسباب النزول ومعرفته سبب قوي لفهم كتاب الله تعالى.
٣- إن فهم النص القرآني من خلال أسباب النزول يقطع الطريق أمام حملات التشكيك في الكتاب والسنة.

ثانياً: أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- توضح أثر أسباب النزول في بيان المعاني التفسيرية والأحكام التشريعية.
٢- قد تساهم هذه الدراسة في معرفة أسباب النزول وأهميتها لكل شخص لا يعرفها وللذي يعرفها تعمقاً وتقصياً وتمحيصاً وفهماً.
٣- وربّما تساهم هذه الدّراسة في حق الباحث نفسه ما تجعله يتوسع في فهم النصوص القرآنية.

ثالثاً: أسباب اختيار موضوع البحث:

١- فمن خلال إطلاعي على القرآن والتفسير أردت أن اكتب في أسباب نزوله وأثرها في توضيح آيات القرآن الكريم.
٢- وأن أسباب النزول هي الطرق الأوضح والأسلم لتبين آيات الذكر الحكيم وتوضيحها، كان ذلك سبباً لاختياري هذا الموضوع

رابعاً: مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة البحث في السؤال المحوري عن الآتي:

١- ما أثر أسباب النزول في فهم آيات الذكر الحكيم؟ وما المراد أسباب النزول؟ وما أهميتها.
٢- وما الطريقة التي سلكها العلماء في ذكر أسباب النزول؟
٣- ما أثر أسباب النزول في بيان المعاني التفسيرية والأحكام الشرعية؟

خامساً: الدراسات السابقة:

قد سبقني علماء كُثر بالكتابة في موضوع أسباب النزول وما يتعلق به من أحكام غير أنني لم أقف على بحث يتناول أسباب النزول وأهميته في فهم النص القرآني "أنموذجاً" سورة آل عمران"دراسة تحليلية تطبيقية"

سادساً: منهج البحث:

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي ويقوم من خلاله بجمع كل ما يتعلق بأسباب النزول من القرآن الكريم والسنة النبوية والأثر وهو ما تطلبته طبيعة هذه الدراسة

سابعاً: هيكل البحث:

أما بالنسبة لهيكل البحث فقسمتها إلى ستة مباحث وخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

أمّا المقدمة: فتحدثت فيها كما سبق عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف الدراسة والدراسات السابقة وإشكالية البحث والمنهج المتبع فيها وخطته.

المبحث الأول
مدخل لتعريف مصطلحات العنوان

قبل الدخول في تفاصيل الدراسة لابد من نظرة سريعة موجزة على محوري هذا البحث وعموده وهما أثر أسباب النزول في فهم النص القرآني وذلك من خلال الأتي:

أولاً: مفهوم الأثر لغة

الأثر لغة: الأثر مفرد، والجمع آثار، وأثور، ويطلق على معان متعددة منها: بقية الشيء، وتقديم الشيء، وذكر الشيء، والخبر.

"أثر" الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي(١)

قال الجرجاني(٢) : الأثر: له ثلاثة معان: **الأول**، بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء.

---

(١)انظر: معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسن، ت:٣٩٥ه، ت: عبد السلام محمد هارون، ج١، ص٥٣، وما بعدها، ط/ دار الفكر، ت:١٣٩٩ه، ١٩٧٩، مادة "أثر".

(٢)الجرجاني: هو على بن محمد بن على الزين الشريف الجرجاني، المتوفي ٨١٦ه، من كبار علماء العربية، ولد في تاكو ودرس في شيراز، وأقام بها إلى أن توفى، انظر: موسوعة الأعلام لوزارة الأوقا المصرية، ج١، ص١٠٢.

والآثار: هي اللوازم المعللة بالشيء[١].

وجاء في القرآن الكريم الأثر بعدة معاني منها:

١- قال تعالى: چ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[٢] أي جعلنا عيسى يقفو آثارهم، أي آثار النبيين الذين أسلموا، أي أرسلناه عقيبهم، أي بعددهم.

٢- قال تعالى: چ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ[٣] والمعنى على أثر توليهم وإعراضهم عنك.

٣- قال تعالى: چ ۇ ۆ ۆ ۈ چ[٤] في هذه الآية الكريمة فهم على آثارهم، أي: فهم على اتبعهم والاقتداء بهم في الكفر والضلال، كما قال تعالى عنهم: چ ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ[٥] أي ونحن ماشون على طريقتهم مهتدون بأثارهم: أي متبعون سائرون[٦].

ومما سبق أن الأثر في اللغة يكون له أكثر من معنى أهمها البقية من الشيء وعلامته في حصول النتائج التي لها أثر كبير في حصول الأشياء.

ثانياً: الأثر اصطلاحاً:

تتعدد تعريفات الأثر بتعدد الموضوعات التي يبحث فيها، والتي ترمز لذلك، كما تقدم أنه ورد بعدى معاني في اللغة.

وكذلك في اصطلاح العلماء تتعدد تعريفاته، على حسب المجالات التي ورده فيها، أو التي تفتقر إليه.

وموجود في اصطلاح الفقهاء الخرسانيون[٧] تعريف الموقوف[٨] باسم "الأثر"

---

(١)انظر: التعريفات للجرجاني، هو على بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المتوفي ٨١٦هـ، ج١، ص١٠٢، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ج١، ص٩، بإشراف الناشر، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١/ت١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

(٢)سورة المائدة، الآية: ٤٦.

(٣)سورة الكهف، الآية:٦.

(٤)سورة الصافات، الآية: ٧٠.

(٥)سورة الزخرف، الآية: ٢٢-٢٣.

(٦)انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ج٦، ص٣١٦، وانظر أيضاً: صفوة التفاسير، محمد على الصابوني، ج٢، ص٤٤٤.

(٧)هم علماء الغرب نسبة إلى خرسان.

(٨)هو نوع من أنواع الحديث: ما يروي عن الصحابة ψ من أقوالهم، أو أفعالهم ونحوها، فيوقف عليهم ولا يتجاوز به إلى رسول الله ρ ثم إن منه ما يتصل الإسناد فيه إلى الصحابي فيكون من الموقوف الموصول ومنه

يقولون: "الخبر" ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم والأثر: ما يروي عن الصحابة – رضى الله عنهم"[١] . ومما سبق يكون أثر أسباب النزول في التفسير من المعاني اللغوية والاصطلاحية السابقة.

هي وقائع وحوادث وأمور حصلت في زمن التشريع واحتاجت إلى بيان حكم، والتي هي عبارة عن حادثة أو سؤال كما تقدم.

وتركت أثراً في تفسير القرآن وآياته وبيان الأحكام التي احتاج إليها الناس في صدر الإسلام، فبين النبي صلى الله عليه وسلملهم ما أشكل عليهم، من الأحكام، والحوادث، والأمور، فهذا كان أثراً كبيراً في تفسير القرآن، لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

المبحث الثاني

تعريف معنى سبب النزول من حيث اللغة والاصطلاح

قبل الوقوف على حد سبب النزول كما اصطلح عليه العلماء، لابد من الإشارة إلى معنى سبب النزول على اعتبار كونه مركباً إضافياً، وذلك من حيث معرفة معنى كلمتي (السبب)، و(النزول) من حيث اللغة:

أولاً: السبب (لغة): هو الوصول بالشيء إلى غيره[٢] .

وجاء في مفردات القرآن: السبب: كل ما يتوصل به إلى الشيء سبباً، قال تعالى:

چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ چ[٣] وجمعه أسباب قال تعالى:

چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ چ[٤] والإشارة بالمعنى إلى نحو قوله چ ڈ ڈ ژ ژ

ما لا يتصل إسناده فيكون من الموقوف غير الموصول، على حسب ما عرف مثله في الموقوع إلى رسول الله ρ .

(١) انظر: معرفة أنواع علوم الحديث المشهور، بمقدمة بن الصلاح، لعثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، المتوفى ٦٤٣ه، ت: عبد اللطيف الهميم، ماهر ياسين الفحل، ج١، ص١١٨، دار الكتب العلمية، ط١، ت١٤٢٣ه/٢٠٠٢م، ج١، ص١١٨.

(٢)انظر: لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، ت٧١١، ج١، ص٤٥٨، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤، جمهرة اللغة، أبا بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، ت٣٢١ه، ج١، ص١٤٥، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع والقاهرة ، الصحاح، الجوهري إسماعيل بن حماد، ج٣، ص١٨٥، حققه أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.

(٣)سورة الكهف، الآية: ٨٤-٨٥.

(٤)سورة ص، الآية: ١٠.

ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ[١] ومعناه أن الله تعالى أتاه من كل شيء معرفة وذريعة يتوصل بها فأتبع واحداً من تلك الأسباب[٢].

ثانياً: النزول لغة: نزول مأخوذ من الفعل الثلاثي –نزل- على وزن فعل، وجمعها نزول.

وقال ابن فارس: (نزل): النون والزاء واللام، كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه، وجاء في التنزيل، قال تعالى: ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ[٣][٤]

وفي لسان العرب: نزل: النزول: الحلول[٥].

النزول اصطلاحاً: يعتبر تعريف السيوطي لسبب النزول هو الأكثر دقة، وقد جاء قبله ابن حجر، ولكنه لم يعرف سبب النزول تعريفاً لفظياً؛ إذ عرفه في عمله التطبيقي، ولا يختلف فهمه لسبب النزول عن فهم السيوطي والعلماء الأوائل، وبهذا نصل إلى أن حلقة الوصل كانت عند الواحدي، وعندها أيضاً كانت مرحلة التطور في المعنى ثم جاء السيوطي، وقنن المعنى وقيده، وهذا التعريف كان نتيجة اطلاعه على الكتب السابقة التي تحدثت عن سبب النزول، سواء كانت هذه الكتب من كتاب علوم القرآن أو كتب في أسباب النزول، ثم جاء المحدثون واقتبسوا عبارة السيوطي بشيء من التعديل[٦].

فعرف السيوطي سبب النزول، حيث قال: والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه[٧].

وقال الزرقاني: سبب النزول هو ما نزلت الآية، أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه[٨].

---

(١)سورة الطور، الآية: ٣٨.

(٢)المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب، ت:٥٠٢ه، ص٢٢٠، دار المعرفة، بيروت.

(٣)سورة المؤمنون، الآية: ٢٩.

(٤)مقاييس اللغة، ابن فارس لأبي الحسين أحمد، ت٣٩٥ه، ص٤١٧، حققه: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، المجلد الخامس، المفردات في غريب القرآن، الاصفهاني، مرجع سابق، ص٤٨٨.

(٥)انظر: لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، ج١١، ص٦٥٦.

(٦)العجاب في بيان الأسباب، العسقلاني أبو الفضل أحمد بن على ابن حجر، مقدمة الأنيس على تحقيق العجاب، ت:٨٥٢، ج١، ص٨٠.

(٧)الإتقان في علوم القرآن، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، ت٩١١ه، ج١، ص٤٥، حققه: أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤-١٩٧٤.

(٨)مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني محمد عبد العظيم، ت١٣٦٧ه، ج١، ص١٠٦، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

وقال القَطان: ولذا نعرف سبب النزول بما يأتي: هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال"[١].

ومن خلال التعريفات المتقدمة، والمتأخرين "من العلماء"؛ يمكن الاحتراز عن أمرين اثنين، هما:

ـ ما نزل القرآن بشأنه بعد وقوعه بمدة طويلة، كأخبار القرون الماضية، فليس من السبب في شيء قال السيوطي: "والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه؛ ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسيره لسورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء جل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة نوح وعاد وثمود، ونحو ذلك"[٢].

ـ ما لم يكن حادثة أو سؤالاً، بل حكماً من الأحكام، أو معنى من المعاني التي تروى عن الصحابة والتابعين في تفسير كثير من الآيات، فليست من قبيل سبب النزول[٣]

المبحث الثالث

أهمية معرفة أسباب النزول ووجوه تأثيرها في تفسير القرآن الكريم

لمعرفة أسباب النزول أهمية بالغة في تفسير القرآن الكريم، ولا يجوز التصدي لتفسير كتاب الله تعالى لمن لم يحط علماً بها، لأنها من أعظم الأسباب في فهم معاني القرآن وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات، قال الواحدي: (إذ هي- يعني أسباب النزول، أو في ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) [٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن السبب يورث العلم بالمسبب[٦]

---

(١)مباحث في علوم القرآن، القطان مناع بن خليل، ت١٤٢٠، ج١، ص٧٧، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، سنة ١٤٢١ه، ٢٠٠٠م.

(٢)الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، مرجع سابق، ج١، ص٤٥.

(٣)نزول سورة الأنعام جملة واحدة أو نزولها على أسباب متفرقة دراسة وتحليل، الأطرش، عطية صدقي، ص٨٨، كلية الشريعة، جامعة الخليل، فلسطين، مجلة جامعة الخليل للبحوث، ٢٠٠٩م، المجلد٤، العدد١.

(٤)انظر: أسباب النزول، للواحدي، ص٦، ط مطبعة الحلبي وشركاه، ١٤١١ه/١٩٩٠م.

(٥)هو الإمام المجتهد الفقيه المفسر، تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم الحرافي، ولد سنة ٦٦١ه، وبرع في شتى العلوم مات في سجن القلعة، ٧٢٨، انظر: تذكرة الحفاظ، ١٤٩٦/٤.

(٦)انظر: مقدمة في أصول التفسير، ص٤٧.

وقال الزركشـــي[١] : وأخطأ من زعم أنه لا خائل تحته، يعني علم أســـباب النزول، لجريانه مجري التاريخ، وليس كذلك بل له فوائد[٢].

وبهذا يتبين لنا الأهمية البالغة لمعرفة أســـباب النزول لمن أراد أن يتصـــدى لتفسير كتاب الله تعالى، لما لها من أثر كبير في معرفة تفسير القرآن ومقاصده على الوجه الصحيح.

ومن أهم آثار معرفة أسباب النزول في تفسير القرآن ما يلي:

١- بيان الحكمة الباعثة على تشريع الحكم[٣] ويظهر هذا الأثر في كثير من الأحكام التي نزلت على أسباب تبَّين من خلالها مراعاة الشرع لمصالح العباد، كتحريم الخمر، وتشريع حكم اللعان، وأحكم الطلاق، فقد ظهر من أسبابها مدى مراعاة تشريع تلك الأحكام لمصالح العباد.

كما أن في معرفة حكمة تشريع الحكم نفعاً للمؤمن والكافر، فأمّا المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه، ويحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بها؛ لما يتجلى له فيها من المصالح، وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفاً حين يعلم أن التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح العباد لا على الاستبداد والتحكم والطغيان[٤]

٢- الوقوف على المعنى الصـحيح للآية ورفع الإشـكال الذي يكتنفها[٥] ، فبعض الآيات إذا فسرت بمنأي عن معرفة أسبابها تفسر على غير وجهها الصحيح، والأمثلة على هذا كثيرة منها قوله تعالى:چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ چ[٦] فهذه الآية إذا فسرت دون معرفة سبب نزولها فإن ظاهرها يدل على أن للإنســان أن يصــلى إلى أي جهة شــاء، ولا يجب عليه أن يولي وجهة شطر المسجد الحرام سواء كان في حضر أو سفر، ولكن عندما يقف

(١)هو العلامة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله المصـري الزركشـي الشـافعي، ولد سـنة ٧٤٥ه، وكان فقيهاً أصولياً مفسراً أدبياً فاضلاً، توفى سنة ٧٩٤هـ، انظر: الدرر الكامنة، ١٧/٤.

(٢)البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٢.

(٣)انظر: البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٢، والإتقان في علوم القرآن، للسـيوطي، مرجع سـابق، ج١، ص٣٨.

(٤)انظر: مناهل العرفان، للزرقاني، مرجع سابق، ج١، ص١٠٢.

(٥)انظر: البرهـان، ج١، ص٢٢، الاتقـان، ج١، ص٣٨، منـاهل العرفـان، ج١، ص١٠٣، مبـاحث في علوم القرآن، ص٨٠.

(٦)سورة البقرة، الآية: ١١٥.

المفسر على سبب نزولها، وهو أنها نزلت في من التبست عليه جهة القبلة فصلى باجتهاده، ثم بان له خطؤه(١) عندئذ يتبين له أن ظاهرها غير مراد.
٣- رفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر(٢)، ومثال ذلك قوله تعالى:چ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗچ(٣) فظاهر هذه الآية من المحرمات محصورة في الأصناف المذكورة، وإذا وقفنا على سبب نزولها اتضح أن الحصر فيها غير مقصود، وذلك أن سبب نزولها أن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحادة في ذلك نزلت هذه الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه نازلاً منزلة من يقول: لا تأمل اليوم حلاوة فتقول: لا أكل اليوم إلا الحلاوة، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله، ولم يقصد حل ما وراءه؛ إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل(٤).
٤- تخصيص الحكم الوارد بصيغة العموم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ(٥) ويمكن أن يمثل لهذا بقوله تعالى:چ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹچ(٦) فظاهر لفظ الآية أن الوعيد فيها عام في كل من فرح بم أوتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل يعذب لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية إنما نزلت في أهل الكتاب ثم تلا: چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ چ(٧) إلى قوله: چ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ چ(٨)، قال ابن عباس: سألهم النبي صلى الله عليه وسلمعن شيء فكتموه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه فاستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما

(١)انظر: أسباب النزول، للواحدي، المرجع السابق، ص١٨-١٩.
(٢)انظر: البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٣، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص٣٩، مناهل العرفان، ج١، ص١٠٥.
(٣)سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.
(٤)انظر: البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٣، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص٣٩، مناهل العرفان، ج١، ص١٠٥.
(٥)انظر: البرهان، ج١، ص٢٢، العتقان، ج١، ص٣٨، مناهل العرفان، ج١، ص١٠٥.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.
(٨)سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

أوتوا من كتمان ما سألهم عنه[١] فمن يرى العبرة بخصوص السبب يجعل الوعيد المذكور فيها خاصاً بمن نزلت فيهم من أهل الكتاب، مع أن لفظها عام وبهذا يتضح مدى الأهمية البالغة لمعرفة أسباب النزول في تفسير القرآن على وجهه الصحيح.

المبحث الرابع
طريق معرفة سبب النزول وتأثيرها لفهم تفسير القرآن الكريم

علم معرفة أسباب النزول من العلوم النقلية إلى لا مجال للاجتهاد فيها، فالمعتمد فيها النقل الصحيح عن رسول الله ρأو الصحابة ψأو التابعين[٢] .

يقول الإمام الواحدي: إن أوفى ما يجب الوقوف عليه، وأولى ما تصرف العناية إليه هو: (علم أسباب النزول)؛ وذلك لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون التوقف على قصتها وبيان نزولها ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجدوا في الطلاب[٣] ، حيث يروى بسنده، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"اتقوا الحديث إلا ما علمتم، فإنه من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبؤا مقعده من النار[٤] والسلف الماضون – رحمهم الله- كانوا من أبعد الغاية احترازاً عن القول في نزول الآية[٥] .

ويقول الإمام السيوطي في (المقامة السندسية في النسبة المصطفوية): قد تقرر في علوم الحديث أن سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع، لا يقبل منه إلا

(١)البخاري في كتاب التفسير، باب "لا يحسبن الذين يفرحون بما أوتوا، ج٥، ص١٧٤، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، ج١٧، ص١٢٣، وانظر: أسباب النزول، للواحدي، ص٦٤، البرهان، ج١، ص٢٧، الإتقان، ج١، ص٣٨.

(٢)مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج١، ص١١٤.

(٣)أسباب النزول، الواحدي ، ج١، ص٨.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل حققه: أحمد محمد شاكر، حديث ٢٦٧٥، ج٣، ص١٩٧، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦، ١٩٩٥م، مسند بني هاشم، الموصلي، أبو يعلي أحمد بن على بن المثني بن يحي بن عيسى بن هلال التميمي، ت٣٠٧، مسند أبي يعلي، حققه: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤-١٩٨٤م، مسند أبي يعلي الموصلي، أول مسند ابن عباس، حديث رقم ٢٣٣٨، ج٤، ص٢٢٨.

(٥)انظر: نفس المرجع السابق، ص١٢.

الصحيح المتصلإسناده، لا ضعيف ولا مقطوع[١] وعلى هذا فسبب النزول إن روي عن الصحابي فهو مقبول وإن لم يعتضد (أي يعزز) برواية أخرى تقويه؛ وذلك لأن قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه يأخذ حكم المرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلملأنه يبعد أن يقول الصحابي ذلك من تلقاء نفسه، فهو خير لا مرد له إلا السماع والنقل، أو المشاهدة والرؤيا.

أما قول التابعي في سبب النزول، أي إذا سقط الصحابي، فكان مرسلاً، فحكمه: أنه لا يقبل إلا إذا صح، واعتضد بمرسل[٢] آخر، وكان الراوي له من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة، كمجاهد وعكرمة وسعيد بن الجبير[٣] .

فقد ذكر العلماء أوثق الطرق عن الصحابة والتابعين، كطريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس فذكر الحافظ ابن حجر أنها طريق قوية عن ابن عباس – رضى الله عنهما- إضافة إلى طرق أخرى، وذلك في مقدمة كتابه العجاب.

وفي المقابل نبه علماء الجرح والتعديل على الأسانيد الواهية وغير القوية عن الصحابة والتابعين، كتلك التي من (رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس)، فقد ضعفها أهل الحديث[٤] والأصل عدم اعتماد الروايات من هذه الطريق وهي كثيرة، ومبثوثة في كتب المفسرين.

المبحث الخامس

مكانة أسباب النزول عند العلماء

وقد حظى –علم أسباب النزول- بعناية العلماء قديماً وحديثاً، لأن هذا العلم يتعلق بكتاب الله تعالى واهتم العلماء قديماً بكتاب الله تعالى منذ نزله الأول عن طريق الوحي جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلمفي ثلاثة وعشرين سنة.

فإن الله عز وجل بعلمه وحكمته اختار لصحبة نبيهρ أبر الناس قلباً وأصدقهم سناً، وأوعاهم حفظاً وفهماً، فشاهدوا التنزيل، وفهموا التنزيل، ووقفوا على ما لم يقف عليه غيرهم من طبقات الأمة، وكان أكثرهم، ومنتهى سعيهم أن يفهموا خطاب

(١)العجاب في بيان الأسباب، العسقلاني، مرجع سابق، ج١، ص١٠٠.

(٢)الحديث المرسل: حديث التابعي الكبير الذي لقى جماعة من الصحابة وجالسهم كعبيد الله بن عدي بن الخيار وسعيد بن المسيب وغيرهما، إذا قال: قال رسول الله ρ ....إلى آخره؛ العسقلاني، النكت على كتاب ابن الصلاح، حققه: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي في الجامعة، ج٢، ص٥٤٠.

(٣)مناهل العرفان، الزرقاني، مرجع سابق، ج١، ص١٠٢.

(٤)العجاب في بيان الأسباب، العسقلاني، مرجع سابق، ج١، ص٥٧-٥٩.

الله تعالى لعباده، ويعرفوا مراده من كتابه، فبذلك حازوا أفضل العلوم واكتسبوا خلاصة الفهوم.

ولم تزل أمة تغترف من بحر علمهم وفقههم لا يتجاوز حد فهمهم برأي أو قياس، لاسيما إذا كان الأمر يتعلق بكتاب الله تعالى، فتأسى الصحابة رضوان الله عليهم بقوله تعالى: چ ج ج ج ج ج ج ج چ[1] وتخوفوا من وعيده الذي جاء في قوله تعالى:چ ک گ گ گ گ گ گ چ[2] وتأسى التابعين والذين من بعدهم بالآيات السابقة وبقدوة الصحابة رضوان الله عليهم ومازالت الأمة تتدبر القرآن الكريم بالتقصي في معانيه التي هي صالح لكل زمان ومكان، وهذا العلم – أسباب النزول- كغيره من العلوم التي تبدأ باللبنات الأولى إلى أن يستقر علماً ويعطي اسماً قائماً بذاته.

فأسباب النزول بدأ بروايات متفرقة لا يضمها اسم، ولا يجمعها كتاب فلم يزل ينموا ويتطور حتى انتهى به المنال إلى الحال التي هو عليها الآن مروراً بالمراحل التالية:

أولاً: عهد النبي صلى الله عليه وسلموالصحابة رضوان الله عليهم:

ارتبط هذا العلم في بداياته الأولى بالوحي الإلهي الذي كان ينزل به جبريل – عليه السلام- من رب العالمين – جل وعلا- على النبيصلى الله عليه وسلمعلى إثر حادثة تحدث، أو سؤال يسأل، أو مقالة تقال، أو شكاية ترفع فينزل الوحي لبيان هذا الأمر الطارئ، فيحفظ ذلك من حضره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلموسكون ذلك من جملة العلم الذي تلقوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلملكنه يتميز بأنه أمر حادث يعقبه وحي إلهي ينزل، ويحفظ في الصدور، حيث لم تكن الكتابة آنذاك أسلوباً مستعملاً لعامة الناس[3] .

هذه هي المكانة التي حظي بها هذا العلم في اللبنات الأولى له في زمن النبي صلى الله عليه وسلموالصحابة رضوان الله عليهم.

ثانياً: عهد التابعين قبل تدوين السنة:

انتهى العهد النبوي الشريف بموت المصطفى صلى الله عليه وسلموحلم الراية بعده أصحابه الكرام، حيث نذروا أنفسهم لتبليغ الدين بكل ما يستطيعون من قول أو

(١)سورة ص، الآية:٢٩.

(٢)سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣)انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان، ت"١٤٢٠ه، ص٧٨، ط/ مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، عام ٢٠٠٣، ومناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص١٠٦.

عمل أو جهاد أو بذل، فكان التابعون يقصدون أصحاب النبي ρ لأخذ العلم عنهم بالسؤال تارة، وبصحبتهم وسماع ما يروون تارة، وكان هذا العلم من جملة ما حفظه التابعون عن أصحاب النبيصلى الله عليه وسلمواشتهر لبعض الصحابة رواة وتلاميذ يأخذون عنهم ويروون علمهم، وقد نقل هذا العلم في هذه المرحلة بطريق التلقي والحفظ في الصدور أيضاً.

ثالثاً: عهد التدوين:

التدوين على نحو محدود كان موجوداً حتى على عهد النبي ρ ولهذا كتب رسول الله صلى الله عليه وسلمكتابه الشهير لعمرو بن حزم، وأذن للصحابة –رضى الله عنهم- أن يكتبوا لأبي شاه[١] ، وغيرها من الكتابات، واستمرت الحال كذلك على نحوي فردى حتى جاء الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ورأى الحاجة داعية إلى تدوين الأحاديث وكتاباتها[٢] ومن هذا الوقت أقبل العلماء على كتابة السنين وتدوينها وشاع ذالك في الطبعة التي تلي طبقة الزهري، وظهرت المصنفات والمجاميع.

رابعاً: عهد تصنيف العلوم:

بعد المرحلة السابقة رأى بعضهم أن تفرد أحاديث النبي صلى الله عليه وسلمفي مؤلفات خاصة، فألفه المسانيد[٣] وأول من ألف المسانيد أبو داود سليمان الطيالسي (ت:٢٠٤ه).

جمع هؤلاء الأئمة الحديث ودونوه بأسانيد، وذكروا طرقاً كثيرة لكل حديث وتمكن جهابذة هذا العلم، وصيارفته من معرفة الصحيح من الضعيف والقوي من المعلول.

ثم رأى بعض الأئمة أن يصفوا في الحديث الصحيح فقط وكان أول من صنف ذلك الإمام البخاري (ت٢٥٦ه) ثم الإمام مسلم (ت٢٦١ه) ثم ظهر أصحاب السنن الأربعة مرتبة على الأبواب الفقهية[٤] .

---

(١) صحيح البخاري (٤٥ كتاب اللفظة- ٧ باب كيف تعرف لفظة أهل مكة) ج٣، ص١٥٢، حديث رقم ٢٤٣٤.

(٢)فكتب بذلك على رأس المائة الأولى إلى عامله وقاضيه على المدينة أبي بكر بن حزم، انظر: ما كان حديث رسول الله فأكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء.

(٣)المسانيد: هي كتب تضم أحاديث رسول الله ρ بأسانيدها خالية من فتاوى الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، تجمع فيها أحاديث كل صحابي على حده ولو كانت في مواضيع مختلفة تحت اسم الصحابي وهكذا...

(٤)وهم: أبو داود السجستاني، وأبي عيسى الترمذي، والنسائي، وابن ماجة القزويني.

وكانت هذه الروايات -أسباب النزول- مبثوثة في بطون هذه المؤلفات الضخمة حتى جاءت المرحلة اللاحقة وهي إفراد أسباب النزول بالتأليف.

المبحث السادس

الوقوف على أثر أسباب النزول في تفسير القرآن من خلال تفسير "سورة آل عمران"

في هذا المبحث سأوضح مدى أثر معرفة أسباب النزول في تفسير الآيات التي نزلت على أسباب من سورة آل عمران وذلك بالمقارنة بين تفسير الآية مجردة عن معرفة سببها وتفسيرها في ضوء سببها، أو بيان الغموض والإشكال الذي وضحه سبب نزولها، وسأقتصر على ذكر الآيات التي كانت لمعرفة أسباب نزولها أثر واضح في تفسيرها فأقول مستعيناً بالله سورة آل عمران (مدنية) نزلت بعد الأنفال وعدد آياتها ٢٠٠ آية، وهي بعد سورة آل عمرانفي ترتيب المصحف الشريف.

علاقتها مع سورة آل عمران

سورة آل عمران هي شقيقة سورة آل عمرانبنص أحاديث النبي صلى الله عليه وسلموتسميات (بالزهراوين) وهناك تشابه كبير بينهما، فكلتهما بدأتا بـــــ (ألم) واختتمتها بدعاء، ومن لطائف القرآن الكريم أن أول ثلاث سور من القرآن الكريم قد اختتمت بدعاء:

الفاتحة: چ ٹ ٹ ٹ چ[١]

البقرة: چ ې ې ې د د ئا ئا چ[٢]

وآل عمران: چ ې ې ې ې د د ئا ئا ئه ئه چ[٣]

الآية الأولى: من قوله تعالى:{چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں چ[٤]

هذه الآية إذا فسرت على ظاهرها تتضمن الإشارة إلى أحداث غزوة بدر، وأن الخطاب فيها موجه لليهود، وكذلك يبدوا من التلقين الموجه للرسول صلى الله عليه وسلمفي الآية: چ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ چ[٥] فإنها تقتضي أن كان عموم هذا التلقين

(١)سورة الفاتحة، الآية:٦.
(٢)سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٣)سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.
(٤)سورة أل عمران، الآية: ١٢-١٣.
(٥)سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

ليواجه به النبي صلى الله عليه وسلمكل المخالفين له في العقيدة وعمومة ظاهر من قوله تعالى: چ ھ ہ ہ ھ ے ۓ ۓ ﮲ چ[1] تخاطب اليهود وفيها إشارة واضحة إلى غزو بدر.

ولكن وقع خلافاً لما ذكره الإمام البقاعي: عند النظر في السياق الآيات، حيث قال تعالى: چ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ[2]

وهذا مما شاهده المشركون يوم بدر، وهو أن يرى الكفار المسلمين ضعفي عدد المسلمين، ولم يشاهده اليهود، فكيف يكون لهم آية[3] .

ولكن ما عليه المفسرون: أن الفئة التي تقاتل في سبيل الله وهي المؤمنة، وأن المرئيين هم الفئة الكافرة[4] فالخطاب فيه لليهود، لأن اليهود كانوا مشرفين بكل عناية على ما جرى ببدر وغير بدر من قتال بين المسلمين والمشركين[5] .

أما ما ذكره الإمام البقاعي أن الكافرين يرون المؤمنين على قلتهم مثليهم في العدد، فإن ذلك يخالف رأي جمهور المفسرين.

ولكن إذا وقف المفسر على سبب نزولها يزول هذا الاشكال ويتبين أن المراد بها ما روى عن ابن عباس τ قال: لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلمقريشاً يوم بدر، وقدم المدينة جمع في سوق بني قينقاع[6] فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله مثل ما أصاب قريشاً: قالوا يا محمد، لا يغرنك[7] من نفسك أنك قلت نفراً من قريش أغماراً[8] لا يعرفون القتال إنك لو قاتلنا لعرفت أنا نحن الناس وإنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله - عز وجل - في ذلك قوله: چ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ چإلى قوله

(١)سورة آل عمران، الآية: ٢٠.
(٢)سورة آل عمران، الآية: ١٣.
(٣)ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج٤، ص٢٦٤.
(٤)تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار محمد رشيد رضا، ج٣، ص١٩٣.
(٥)نفس المرجع السابق، ج٣، ص١٩٣.
(٦)قينقاع: وهم بطن من بطون يهود المدينة، أضيفت السوق إليهم، وهو بفتح القاف، وضم النون، وقد تكسر وتفتح، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، مادة قينقاع، ج٤، ص١٣٦، ط/المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ه/١٩٧٩م.
(٧)"لايغرنك": أي يغر "أي خدعه وأطمعه بالباطل، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: "غرر"، ج٥، ص١١.
(٨)الإغمار: جمع غمر، أي بالضم، وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ماجة "غمر" ج٣، ص٣٨٥.

تعالى: چڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ[1]

كما اتضح من السبب أن هذه الآيات نزلت في أحداث غزوة بدر والخطاب فيها كان لليهود، وهذا ما ذهب إليه جمع المفسرين منهم، الإمام البغوي، وابن عطيه، وابن كثير، والطبري، والقرطبي، وطاهر بن عاشور، ومحمد رشيد رضا، وغيرهم[2].

الآية الثانية: قوله تعالى: چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ[3]

للآيات الكريمة سياقها يدل كما أورد المفسرون عند تفسير الآية أن السياق للآيات التي قبلها بينهما ترابط من حيث المعنى.

أولئك أعداء الله اليهود، دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم، وإلى نبيه صلى الله عليه وسلمليحكم بينهم وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ثم تولوا عنه وهم معرضون!

لأنهم كانوا بالقرآن الكريم مكذبين، وبالتوراة بزعمهم مصدقين، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به في زعمهم مقرون، أبلغ وللعذر أقطع[4].

فتبين من سبب النزول وهو ما روى عن ابن عباس، رضى الله عنهما قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلمبيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: على ملة إبراهيم ودينه، فقالا: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه

---

(١)أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، ج٣، ص٤٢، حديث: ٣٠٠١، وأسباب النزول، للواحدي، ج١، ص١٠٠-١٠١، والسنن الكبرى، للبيهقي، كتاب الجزية، باب من لا تؤخذ منه الجزية من أهل الأوثان، ج٩، ص٣٠٩، حديث: ١٨٦٢٩، جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبري، ج٦، ص٢٢٧، ميزان الاعتدال، للذهبي، ج١، ص١١٢، الثقات، ابن حيان، ج٧، ص٣٩٢، ط/دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط/أولى، ١٩٧٣م.

(٢)جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، ج٦، ص٢٢٧، ٢٢٨، ومعالم التنزيل تفسير البغوي، ج٢، ص١٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج١، ص٤٠٦، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٤، ص٢٤، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢، ص١٣-١٤، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢، ص١٣-١٤، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، ج٣، ص١٩١، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢، ص١٧٦-١٧٧.

(٣)سورة آل عمران، الآية:٢٣.

(٤)"جامع البيان في تأويل القرآن" للطبري، ج٦، ص٢٨٨-٢٩٢، تفسير ابن المنذر، ج١، ص١٥٥، حديث: ٣٢٣، تفسير ابن أبي حاتم، ج٢، ص٦٢٢، حديث: ٣٣٤٠، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، ج٣، ص٢١٨، تفسير المراغي، أحمد مصطفي المراغي، ج٣، ص١٢٦، ١٢٧، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج٤، ص٣٠٤.

وســـلم"فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم" فأبوا عليه فأنزل الله عز وجل:چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ إلى قوله تعالى: چ ڃ ڃ ڃ چ[1][2]

تخاصمك وفي رواية أخرى دعا النبي صلى الله عليه وسلمالىهود إلى الإسلام فقال له النعمان ابن أوفى: "هلم يا محمد تخاصمك إلى الأحبار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم"بل إلى كتاب الله فقال: بل إلى الأخبار فأنزل الله: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ[3][4]

وأخرجالكلبي عن أبي صـالح عن ابن عباس: إن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا، فذكر القصة الآية في سورة المائدة[5] وفيها: فحكم عليهما بالرجم، فقال له نعمان بن أبي أوفى ويحري بن عمرو: جرت علينا يا محمد، فقال: بيني وبينكم التوراة القصة، وفيها ذكر ابن صوريا، وفي آخرها، فأنزل الله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ چإلى قوله تعالى: چ ڃ ڃ ڃ چ[6]

كما اتضح من السبب أن هذه الآية سبب نزولها :چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ چهو ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما- في دخول رسول الله صلى الله عليه وســـلمعلى جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله -عز وجل- إلى آخر الحديث: وذلك لصحة السند وتصريحه بالنزول وموافقته من حيث المعنى والسياق ولوجود أكثر من لفظ للرواية أما رواية الكلبي فثبت عند الدراســة أنها ضـعيفة جداً وكذبها، في جميع المصـادر وقد انتقد ابن حجر هذا بقوله: والصـواب أن هذه الرواية ترد دائماً بالشك، وهو من ابن إسحاق أو من شيخه محمد بن أبي محمد[7] .

(١)سورة آل عمران، الآية: ٢٣-٢٤.
(٢)ينظر: الدرر المنثور، للإمام الســيوطي، ج٢، ص٢٩٩، ولباب النقول، ج١، ص٤٠، فتح القدير، ج١، ص٣٧٧، وسنده حسن.
(٣)سورة آل عمران، الآية: ٢٣.
(٤)ينظر: أسباب النزول، للواحدي، ج١، ص١٠١.
(٥)انظر: رواية أبي هريرة في ســـنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين، ج٤، ص١٥٥، حديث:٤٤٥٠، وإسناده ضعيف قال الألباني فيه إسناده رجل مبهم وهو مزينة، والحديث ضعيف ولعله ضعفه بسبب هذا الرجل المبهم، البدر عبد المحسن ابن حمد العبد، الكلبي كذاب، وأبو صـالح ضـعيف، وقال الكلبي لسفيان الثوري: كل ما حدثتك عن أبي صالح، عن ابن عباس، فهو كذب.
(٦)ينظر: أسباب النزول، للواحدي، ج١، ص١٠٢، حديث: ١٩٦، والصـجاب في بيان الأسباب، ابن حجر، ج٢، ص٦٧٤، وقال ابن حجر هذه الرواية عن الكلبي، عن أبي صالح بن عباس، والكلبي: اتهموه بالكذب وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حديثكم عن أبي صالح كذب.
(٧)انظر: معالم التنزيل تفسير البغوي، ج١، ص٤٢٤، وأورده الحافظ ابن حجر في العجاب، ص٤٨٩.

الآية الثالثة: قوله تعالى: چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ چ[١]

هذه الآية الكريمة سياقها يدل: إذا تولى هؤلاء الجاحدون عن بيانك يا محمد صلى الله عليه وسلمولم ينظروا في برهانك، وظل المشركون منهم على جهلهم، وأهل الكتاب، في غرورهم فعليك أن تلجأ إلى الله تعالى وترجع إليه بالدعاء والثناء، وتتذكر أنه بيده الأمر يفعل ما يشاء، وهذا يناسب ما تقدم في الرد على نصارى نجران ما أمره بالالتجاء إليه – سبحانه بقوله:چ گ گ گ ڳ ڳ گ چ[٢] .

فتبيّن من سبب النزول من خلال ما روي عن معاذ بن جبل τ "علمني رسول الله صلى الله عليه وسلمآيات من القرآن، كلمات ما في الأرض مسلم يدعو بهن وهو مكروب أو أسير أو غارم إلا قضى الله عنه، احتسبت عن رسول الله يوماً عن صلاة الجمعة، فقال: يا معاذ ما منعك من صلاة الجمعة؟ قلت: يا رسول الله، كان ليوحنا بن ماريا اليهودي على أوقية من تبر، وكان على بابي يرصدني، فأشفقت أن يحبسني دونك، ويشغلني عن ضيفي، قال: أتحب يا معاذ أن يقضي الله دينك؟ فقلت: نعم، فقال: قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما منها ما تشاء اقضى دين فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً لأداه الله عنك[٣]

وقد روى أيضاً في سبب نزولها عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلمقال : "اسم الله الأعظم الذي إذا دعى بها أجاب في هذه الآية – قل اللهم مالك الملك"[٤] إن فاتحة الكتاب، وآية الكرسي والآيتين من آل عمران قال تعالى: چ ڈ ڈ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ چ[٥] إلى قوله تعالى:چ ۇ ۇ ۆ ۆ چ[٦] قال تعالى: "حلفت لا يقرأهن أحد من عبادي إلا جعلت الجنة مثواه ولأسكنته حظيرة القدس، ولنظرت

(١)سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٢)الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٤، ص٥١، جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج٦، ص٢٩٦، معالم التنزيل، تفسير البغوي، ج٢، ص٢٤، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٢١٢، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، ج٢، ص٤١٦، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضاج، ج٣، ص٢٢٢.
(٣)ينظر: مسند الشاميين، للإمام الطبراني، ج٣، ص٣١٩، حديث: ٢٣٩٨، تحقيق: حمد بن عبد المجيد، ط/مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٥١ه، ١٩٨٤م، والمعجم الكبير، ج٢٠، ص١٥٤، حديث: ٣٢٣.
(٤)المعجم الكبير، للطبري، ج١٢، ص١٧١، حديث: ١٢٧٩٢.
(٥)سورة آل عمران، الآية: ١٨-١٩.
(٦)سورة آل عمران، الآية: ٢٦-٢٧.

إليهبعيني المكنونة كل يوم سبعين نظرة ولقضيب له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة ولأغدته من كل عدو حاسد ونصرته[١] .

وروى أيضاً عن سعيد عن قتادة قال: " لما افتح رسول الله صلى الله عليه وسلممكة ووعد أمته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم؟ فنزلت[٢]

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، قال: حدثني أبي عن أبيه قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلمعلى الخندق يوم الأحزاب..... وأخذ يد سلمان ورقى فقال سلمان: بأبيأنت وأمّي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلمإلى القوم فقال: رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل -عليه السلام –أن أمتي طاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل –عليه السلام- أن أمتي طاهرة عليها فأبشروا " فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله، موعد صدق، وعدل النصر بعد الحفر، فقال المنافقون: ألا تحجبون يغويكم ويعيدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، ولا تستطيعون أن يبرزوا، فنزل القرآن: چ ڱ ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ چ[٤]

ۀ ہ ہ ہ چ[٣] وأنزل الله تعالى في هذه القصة قوله تعالى: چ ڈ ڈ

وبعد هذا يتضح لنا أن سبب النزول التي ذكرت واعتبرت سبباً لنزول الآية لا تصح لأن رواية معاذ بن جبل عبارة عن دعاء علمه رسول الله صلى الله عليه

(١)ينظر: اللائي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي، ج١، ص٢٠٨-٢٠٩، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح عويضة، ط/دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى، ١٤١٧ه/١٩٩٧م، الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، ج٢، ص١٦٥.

(٢)ينظر: العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، ج٢، ص٦٧٥، أسباب النزول، للواحدي، ص٨٦-٨٧، ولبنان النقول، ص٥٩، وغزاة السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٣)سورة الأحزاب، الآية: ١٢.

(٤)ينظر: أسباب النزول، للواحدي، ص٨٧-٨٨، وكثير بن عوف بن عمرو بن عوف المزني، ضعيف، نسبه أبو داود إلى الكذب، وابن سعد في "الطبقات الكبرى"، ج٤، ص٨٢-٨٣، وأصل الحديث، دون ذكر سبب النزول، أخرجه النسائي في "الكبرى"، ٧٨٠٧، ط/مؤسسة الرسالة، وأحمد في مسنده، حديث: ١٨٦٩٤، حديث البراء، وإسناده ضعيف أيضاً.

وسلملمعاذ رضي الله عنه ولعدم تصريحها بالنزول وأما رواية ابن عباس فاعتبرت من ضمن الفوائد للسورة الكريمة ولعدم تصريحها بالنزول وأما الروايات الأخرى فهي من قبيل التفسير للآية دون ذكر سبب النزول.

أن إهمال أسباب النزول يودي إلى فهم كثير من الآيات على غير وحيها الصحيح، وما هلك الخوارج إلى بجهلهم بأسباب النزول، وقد سئل عنهم ابن عمر رضى الله عنه فقال: "إنهم شرار الخلق" وقال: "إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"(١) وما أشبه الليلة بالبارحة فكم من طلب العلم الشرعي في هذه الآيات يتلو الآية من القرآن، ثم يشرع في تفسيرها معدداً أسماء العلماء الذين يختلف معهم مذهب أو جماعة متناسياً أو جاهلاً بما قاله عبد الله بن عمر رضى الله عنه مشخصاً داء الخوارج الذي لم تعرف الأمة الإسلامية داء أعصى منه...

والدارس للقرآن الكريم المتدبر لمعانيه لا يستطيع البتة أن يستغني عن معرفة سبب النزول، ذلك لأن كثير من آيات القرآن الكريم لا يمكن فهمها فهماً صحيحاً بمعزل عن معرفة سبب النزول ومهما حاول المفسر الوصول إلى مقصد النص القرآني بعيداً عن سبب النزول يحول بينه المعنى المقصود عن النص القرآني.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبإعانته تكتمل الأمور، فبعد أن منّ الله تعالى عليّ بنعمته إتمام هذا البحث المتواضع الموجز، لا يسعني إلا أن أضع بين يدي القارئ الكريم أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: أهم النتائج:

ومن خلال هذه الدراسة نتوصل إلى النتائج التالية:

(١)انظر: العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ص١.

١- علم معرفة أسباب النزول من العلوم النقلية التي لا مجال فيها، فالمعتمد فيها النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلمأو الصحابة رضوان الله عليهم أو التابعين.
٢- أسباب النزول لا تتناول جميع آيات القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم منه ما نزل ابتداء بلا أسباب وآيات أخرى نزلت بالأسباب مع الوقائع والأحداث والأسئلة التي توجه إلى النبي صلى الله عليه وسلمفيأتي الوحي إلى النبيصلى الله عليه وسلم.
٣- إن أسباب النزول هي قسم من أقسام التفسير وهي أهم قسم، لأنها هي المبنية والموضحة للآية في زمن وقوعها.
٤- أسباب النزول تعين المسلم في تطبيق الأحكام، لأن السبب يورث العلم بالمسبب.

ثانياً: التوصيات

اقترح على الباحثين أن يبحثوا في هذا المجال، لأنه هو أساس كل شيء لأنه متعلق بكتاب الله تعالى

واقترح أيضاً على الأقسام المخصصة في التفسير وعلوم القرآن بأن تكون مادة قائمة بذاتها في الجامعات تدرس للطلاب لكي يعرفوا أهمية أسباب النزول بالنسبة للتفسير.

وأخيراً أسأل الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يفيد صاحبه ومن أعانه عليه يوم لقاء الله وأن يستفيد منه أيضاً الدارسون والباحثون .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين